آثارهُ وأثرُه

لا إخالني اعرف شاعراً مؤلفاً قبل العصر العباسي ؛ اما في العصر العباسي فقد كان من الشعراء المُقلين كتّابٌ (في الدواوين) . من هؤلاء الشعراء : عبد الله بن المُقَفّع (الكاتب المنشيء) ، محمد بن عبدالملك الزيات ، سليمان بن وَهْب ، عمرو بن مَسْعَدَة ، احمد بن المُدَبّر ، احمد بن يحيى البلاذري المؤرخ ، والخالديان محمد وسعيد ؛ وغيرهم ممن هم اقل شهرة[1] ؛ ومن هؤلاء ايضاً بِشْر بن المُعْتَمِر [2] لأنه « نقل من الكتب من معانٍ شتى الى الشعر » .

اما بعد ابي تمام فهنالك البحتري ، وابن المعتز ، والسريّ الرفّاء ، وابو العلاء المعري ؛ فهم مؤلفون بالمعنى الذي نفهمه اليوم .

وأشهر الشعراء المؤلّفين ، حاشا أبا العلاء المعري الشاعر المكثر وعبدالله بن المقفّع الشاعر المقلّ ، أبو تمام الطائي . ذكر ابن النديم [3] لأبي تمام أربعة مؤلفات هي : كتاب الحماسة ، كتاب الاختيارات من شعر الشعراء ، كتاب الاختيارات من شعر القبائل ثم كتاب الفحول . وقد عُني السيد محسن الامين [4] بتعداد

---

(١) الفهرست ٢٣٦–٢٣٩ ، ٢٤٠ وما بعدها

(٢) الفهرست ٢٣٠ – ٢٣١ .

(٣) الفهرست ١٦٥ ؛ في أعيان الشيعة (١٩ : ٤٨٩) خمسة مؤلفات ، وذلك وهم (راجع تحت ، الكلام على الحماسة الصغرى) .

(٤) أعيان الشيعة ١٩ : ٤٨٦–٤٩٨ ؛ راجع أيضاً حركة التأليف عند العرب ١ : ٩٥–١٠٤ ، في ما يتعلق بكتاب الحماسة وحده .

هذه المؤلّفات وبأقوال مؤرّخي الأدب فيها وفي أمثالها عناية فائقة . وفي ما يلي وصف موجز لهذه المؤلّفات :

١ — ديوان الحماسة ، أو كتاب الحماسة ، أو الحماسة الكبرى [١] :

زار أبو تمام عبدَ الله بن طاهر والي خراسان، وكان يقيم في نيسابور، ومدحه ثم عاد وشيكاً . وفي أثناء رجوعه اعترضه الثلج عند مدينة هَمَذان — وكان الشتاء في ذلك العام شديداً [٢] — فمال الى صديق له هنالك اسمه أبو الوفاء بن سلمة ريثما يذوب الثلج فيستطيع أن يتابع سيره الى العراق .

وكان عند أبي الوفاء بن سلمة خزانة كتب قيّمة فانصرف اليها أبو تمام وجمع من دواوين الشعر التي كانت فيها كتاب الحماسة وغيره فيما قيل . وقد أختار أبو تمام في « ديوان الحماسة » نحو سبعمائة وثمانين قطعة لنحو أربعمائة وخمسة وستين شاعراً من الشعراء المقلين ولا سيما المغمورين منهم ، سوى المجاهيل [٣] .

في « ديوان الحماسة » نحو عشر أبيات مفردة [٤] ، ثم هنالك بضع مختارات تتألف كل واحدة منها من ثلاثة أشطر من الرجز [٥] . ولكن معظم المختارات تتألف من مُقطّعات يتراوح عددها بين بيتين وبين عشرة أبيات . وفي الحماسة أيضاً مقاطع قليلة تزيد أبياتها على عشرة وتقل عن عشرين . أما المقاطع التي يزيد عدد

---

(١) راجع فوق، ص٣٢ ؛ هبة الأيام ٩ ، ١٣٨ ، أعيان الشيعة ١٩ : ٤٨٦—٤٩٠ ، حركة التأليف عند العرب ١ : ٩٥—١٠٢ . GAL. Suppl. I 136 ff.

(٢) اوائل ٢٢٢هـ = اوائل ٨٣٧م .

(٣) بعض مقاطع الحماسة منسوبة هكذا : قال بعض بني بولان من طيء — قال أعرابي قتل أخوه ابناً له — قال رجل من بني تميم — وقال آخر — قال بعض بني أسد — قالت امرأة من طيء — قالت غيرها — قال أعرابي — قال بعض المدنيين الخ . ويبلغ هؤلاء المجاهيل نحو مائة وخمسين شاعراً يمكننا أن ننسب نحو ثلاثين منهم على وجه الايقان أو الظن .

(٤) ديوان الحماسة ٢ : ٣٧٠، ٣٧٣، ٣٧٤.

(٥) ديوان الحماسة ٢ : ٣٦٦، ٣٧٢، ٣٧٧ .

أبياتها عـــلى عشرين فهي ست : قصيدة السموأل بن عاديا : « اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه » [1] وقصيدة المنخّل بن الحارث اليشكري : « ان كنت عاذلتي فسيري » [2] . وكل واحدة منهما اثنان وعشرون بيتاً. ثم هنالك قصيدة العُديل ابن الفَرخ العجلي: « ألا يا اسلمي . ذات الدماليج والعقد » [3] ، وقصيدة يزيد ابن الحكم الثقفي يعظ ابنه بدراً : « يا بدر ، والامثال يَضرِبها لذي اللب الحكيم [4] » ، وكل واحدة منهما ثلاثة وعشرون بيتاً . وتأتي بعدئذ قصيدة تأبط شرا : « ان بالشِعب الذي دون سَلْعٍ ... » [5] . وهي ستة وعشرون بيتاً . أما أطول مقاطع الحماسة اطلاقاً فهي قصيدة زياد بن حَمَل بن سعد [6] :

لا حبّذا أنتِ ، يا صنعاء . من بلد ولاشعوب – هوى مني – ولا نقم [7] ،

فانها أربعة وأربعون بيتاً .

واختار أبو تمام في الحماسة مقاطع لجميع الشعراء المقلين والمكـــثرين ، والمشهورين والمغمورين ، والقدماء والمحدثين ، وان كان جل اهتمامه بالمقلين المغمورين القدماء . أما المشاهير فضمت الحماسة منهم المهلهل وطرفة وعمرو بن كلثوم وعنترة والنابغة في الجاهليين ، وحسان والخنساء والفرزدق والاخطل وجميل بن مَعمَر في الاسلاميين ، وأبا العتاهية والعباس بن الاحنف ومسلم بن الوليد ثم بكر بن النطّاح المعاصر لأبي تمام من المحدثين .

والمفروض أن يكون أبو تمام قد اختار في الحماسة مقطوعة واحدة لكل شاعر

---

(١) ديوان الحماسة ١ : ٣٦–٤٠ .

(٢) ديوان الحماسة ١ : ٢٠٨–٢١١ .

(٣) ديوان الحماسة ١ : ٣٠٨–٣١٣ .

(٤) ديوان الحماسة ٢ : ٤٠–٤٥ .

(٥) ديوان الحماسة ١ : ٣٤٨–٣٥٣ .

(٦) ديوان الحماسة ٢ : ١٤٤–١٥٤ .

(٧) صنعاء : عاصمة اليمن ، وشعوب بفتح الشين (القاموس ١ : ٧٨) مكان في اليمن ، قصر عال أو متنزه ذو بساتين ورياض في ظاهر صنعاء . نقم (بضم النون) : قرية في اليمن (القاموس ٤ : ١٨٣) ، بلدة في اليمن ، او جبل عال فيها – ليس فيك ، يا يمن ، شيء أحبه ، لا صنعاء ولا شعوب ولا نقم .

استجاد شعره . ولكن الذين اختار لهم قطعتين أو ثلاثاً لسيوا قليلين . أما الذين اختار لهم اربع مقطوعات أو خمساً أو ستاً فانهم قليلون جداً . فمن الذين اختار لهم ست مقطوعات حاتم الطائي وعروة بن الورد وهما جاهليان ، ثم موسى بن جابر الحنفي وهو شاعر اسلامي .

وتنقسم الحماسة عشرة أبواب . هي عشرة فنون من الشعر : الحماسة — المراثي — الأدب (الحكمة) — النسيب — الهجاء — الاضياف والمديح — الصفات (الوصف الحسي) — السير والنعاس — المُلَح (النكت والفكاهة والاحماض والمجون) — مذمّة النساء . وقد سمى أبو تمام هذا المجموع كله باسم الباب الأول منه « الحماسة » [1] ، وهو أطول الأبواب وأهمها في هذا المجموع القيم .

واشتهر كتاب الحماسة لأبي تمام شهرة غطت على شهرة كل مجموع آخر شبيه به ، فإذا قلنا اليوم « ديوان الحماسة » فإننا نعني ديوان الحماسة لأبي تمام . وقد دل ديوان الحماسة هذا على سعة اطلاع أبي تمام وغزارة علمه بالشعر وحسن ذوقه في الاختيار حتى قيل إن ابا تمام كان في اختياره لديوان الحماسة أشعر منه في شعره [2] . ومن أوجه الأهمية لديوان الحماسة أننا نجد فيه أشعاراً لا نعرفها في مكان آخر .

ولقد عد السيد محسن الأمين شروح ديوان الحماسة فوجدها أربعة وثلاثين شرحاً [3] بعضها شروح عامة كشرح الامام المرزوقي المتوفي سنة ٤٢١ للهجرة ، وشرح الخطيب التبريزي المتوفي سنة ٥٠٢ للهجرة . ومنها أيضاً شروح خاصة

---

(١) الحماسة ، في الاصل ، الشدة في الدين والقتال ، ثم هي الشجاعة (راجع القاموس ٢ : ٢٠٨) . والحماسة أيضاً هي الشعر الذي يقال في القتال وفي التجلد في المصائب والقسوة وقلة المبالاة وصلابة النفس في أي فن من فنون الشعر جاءت هذه الخصائص (راجع شرح الحماسة للتبريزي) .

(٢) خمسة شعراء جاهليون ، للمؤلف ص ٢٥ ، ٢٧ .

(٣) أعيان الشيعة ١٩ : ٤٩٠ — ٤٩٤ ، راجع حركة التأليف عند العرب ٩٨ — ٩٩ . اما أحمد أمين وعبد السلام هارون فقد احصيا نحو ثلاثين شرحاً (شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١ : ١١ — ١٥ من التقديم) . ولعلهما كرراً اسم الصولي مرتين (رقم ١ و ١٢ وجعلا وفاته مرة سنة ٣٣٥ هـ ومرة سنة ٤٧٦ هـ) .

تتناول أوجهاً معينة من هذا الديوان القيم ، فهنالك المبهج في شرح أسماء رجال الحماسة لابن جِنّي ، ومنها رسالة في ضبط أعلام الأماكن في ديوان الحماسة لأبي هلال العسكري .

٢ ــ الحماسة الصغرى وتعرف أيضاً باسم الوحشيّات [١] :

جمع أبو تمام هذا الكتاب من شعر الشعراء العرب (أي القدماء) ورتبّه على عشرة أبواب هي أبواب الحماسة الكبرى نفسها . ويبدو أن الحماسة الصغرى قصائد طوال . ووهم السيد محسن الأمين مرة [٢] فجعل الوحشيات كتاباً مستقلاً غير الحماسة الصغرى .

٣ ــ كتاب الفحول ، أو كتاب فحول الشعراء ؛ أو كتاب اختيار شعراء الفحول [٣] :

هذا المجموع مقاطع من شعر الشعراء الجاهليين والمخضرمين والاسلاميين على الانواع [٤] وينتهي بابن هَرمة .

٤ ــ كتاب الاختيار من شعر القبائل . ويسميه السيد محسن الأمين «الاختيار القبائلي الأكبر ويذكر أنه رآه [٥] ؛ ولعلّه كتاب الاختيارات من شعر الشعراء [٦] .

٥ ــ الاختيار القبائلي الأصغر ، اختار فيه أبو تمام مقاطع من محاسن أشعار القبائل . ومعظمه لغير المشهورين [٧] .

٦ ــ اختيار المقطعات ، وهو مبوب على ترتيب الحماسة وفيه أشعار للمشهورين ولغير المشهورين من القدماء والمتأخرين . وهو يبدأ بأشعار الغزل [٨] .

---

(١) وفيات الاعيان ، مقدمة الحماسة (فرايتاغ) ، الاغاني ١ : ٣٤٦ ، الحاشية ١ ، أعيان الشيعة ١٩ : ٤٩٥ .

(٢) أعيان الشيعة ١٩ : ٤٨٩ .

(٣) الفهرست ١٦٥ ، أعيان الشيعة ١٩ : ٤٩٥–٤٩٦ ؛ وفيات (مطبعة الوطن) ١ : ٢١٤.

(٤) الفهرست .

(٥) الفهرست ١٦٥ ؛ أعيان الشيعة ١٩ : ٤٩٦ .

(٦) الفهرست ١٦٥ ؛ وفيات ١ : ٢١٤ .

(٧) أعيان الشيعة ١٩ : ٤٩٦ .

(٨) أعيان الشيعة ١٩ : ٤٩٦ .

٧ ــ كتاب مجرد في أشعار المحدثين [١] .

مقلدو أبي تمام

وقلد أبا تمام نفرٌ من الشعراء والأدباء والنقاد في جمع مجاميع من الشعر يُعرف كل واحد منها باسم « الحماسة » ايضاً : وقد وصل الينا من هذه المجاميع [٢] :

١ ــ حماسة البحتري ــ البحتري (ت ٢٨٤هـ=٨٩٧م) تلميذ أبي تمام وكان يتشبه به وينحو نحوه [٣] ، فألف « كتاب الحماسة » على مثال حماسة ابي تمام [٤] . على ان البحتري عني بالاغراض ــ بالمعاني المفصلة : حمل النفس على المكروه ، مجاملة الاعداء ... الانفة... ركوب الموت خشية العار ... مؤاخاة الكرام الخ [٥] ، لا بالفنون (الحماسة ، المراثي ، الهجاء ...) كما فعل أبو تمام .

٢ ــ حماسة الخالديين ــ الخالديان هما أبو بكر محمد وابو سعيد عثمان أبنا هاشم ، وكانامن احياء القرن الهجري الرابع ومن الذين كانوا في بلاط سيف الدولة [٦] ، « لهما من الكتب حماسة شعر المحدثين » .

٣ الحماسة العسكرية لأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ ــ ١٠٠٥ م) .

٤ ــ حماسة أحمد بن فارس (٣٢٩ ــ ٣٩٥ هـ) الأديب اللغوي المشهور [٧] .

٥ ــ الحماسة لأبي السعادات هبة الله بن علي الشجري العلوي (ت ٥٤٢ هـ ــ ١١٤٧ م) ، وتعرف بمختارات الشجري . هذا المجموع يضم أبواباً يتناول بعضها فنوناً من الشعر كالمديح والمراثي ... ويتناول بعضها الآخر أغراضاً ومعاني

---

(١) أعيان الشيعة ١٩ : ٤٩٦ .

(٢) راجع اعيان الشيعة ١٩ : ٤٩٤-٤٩٥ ، حركة التأليف ١ : ٩٩-١٠٤ .

(٣) معجم الادباء لياقوت ٧ : ٢٢٧ .

(٤) الفهرست ١٦٥ ؛ (مطبعة الوطن) ١ : ٢١٤ .

(٥) حركة التأليف ١ : ١٠٠-١٠١ .

(٦) راجع الفهرست ١٦٩ ؛ حركة التأليف ١ : ٩٨ ؛ « لهما الاشباه والنظائر من اشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين في الكتبخانة الخديوية المصرية (فهرست الكتبخانة ٤ : ٢٠٢) . وقد طبع هذه الكتاب في القاهرة ، عام ١٩٥٨ (حققه وعلق عليه محمد يوسف) .

(٧) حركة التأليف عند العرب ١ : ٩٨ .

جزئية ؛ فهو لذلك وسط بين حماسة أبي تمّام وحماسة البحتري [1] .

٦ ــ الحماسة [2] للأعلم الشنتمري الاندلسي (ت ٤٧٦ هـ) .

٧ ــ الحماسة لعلي بن الحسن المعروف بشميم الحِلّي (ت ٦٠١ هـ) ، وهي تتألف من أربعة عشر باباً .

٨ ــ الحماسة البصرية لصدرالدين علي بن أبي الفرج البصري (قتل ٦٤٧ هـ ــ ١٢٤٩ م) .

٩ ــ الحماسة المغربية لأبي الحجّاج بن محمد الاندلسي البيّاسي (ت ٦٥٣ هـ ــ ١٢٥٥ م) ، وهي حماسة كبيرة تقع في مجلّدين . وقد كان تأليفها في تونس سنة ٦٤٦ هـ ــ ١٢٤٨ م) .

ديوان أبي تمام والشروح عليه

يبدو أن النسخة التي وصلت الينا من ديوان أبي تمّام هي النسخة التي صنعها علي بن حمزة الاصفهاني [3] ، وهي النسخة المتداولة في الطبع . هذه النسخة مرتّبة على الفنون [4] ، وكلّ فن فيها مرتب على الحروف .

وقد كانت العناية بشعر أبي تمّام كثيرة ، فقد شرحه نفر من المشاهير [5] .

ان أقدم الشروح التي وصلت الينا وافية كاملة شرح أبي بكر الصولي (ت ٣٣٥ هـ) . كان الصولي من المُعْجَبين بشعر أبي تمّام ومن المتعصبين لـه جمع نخبة صالحة من أخباره وشعره ثم شرح ديوانه. وشرْح الصولي موجز مقتصر على معاني الابيات . ثم هو قليل التعرّض لمسائل اللغة والنحو ، الا أنه يورد أحياناً

---

(١) مثله ١ : ١٠٢ــ١٠٣ . وقد طبعت حماسة الشجرى في حيدر اباد (الدكن) بالهند ١٣٤٥ هـ .

(٢) يظن ابن خلكان أنه كان يملك شرحاً للحماسة بقلم الاعلم الشنتمري في خمسة مجلدات (وفيات ، مطبعة الوطن ٣ : ٤٢٧) .

(٣) يذكر محمد عبده عزام (ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ١ : ٤٤ من المقدمة) أن نسخة الاسكوريال تبلغ ١٣٦ ورقة مسطرتها ١٩ سطراً ، وهذا يجعل أبيات الديوان نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة بيت .

(٤) راجع مطلع الفصل التالي .

(٥) راجع مقدمة محمد عبده عزام لديوان ابي تمام بشرح التبريزي ١ : ٢٠ــ٣١.

أشياء من الأخبار تعين القارىء على فهم الابيات التي تتعلّق تلك الأخبار بها من قرب أو بعد . وشرح الصولي يتناول النصف الأول من الديوان .

وبعد الصولي في الزمن يأتي الامام الخارزنجي المتوفى سنة ٣٤٨ هـ . وهو من شرّاح ديوان أبي تمّام المتقدّمين ، غير أن أكثر شرحه قاصر على التفسير اللغوي .

ثم يأتي في هذه السلسلة أبو القاسم الآمدي (ت ٣٧٠ هـ) ، وهو الذي نصب الحرب لأبي تمّام وشعره في كتابه « الموازنة » . وقد كان الآمدي من أنصار البحتري . وفي شرح الآمدي كثير من النقد والجدل يحاول الآمدي أن يبرّر بهما تحامله على أبي تمّام ؛ وربما عمد الى تبديل رواية أو الى اختلاق رواية رأساً للحط من شعر أبي تمّام .

ثم يأتي أبو عليّ المرزوقي (ت ٤٢١ هـ) ، وهو من المعجبين بأبي تمّام المتعصّبين له . والمرزوقي كثير العناية ، في شرحه ، بأسلوب أبي تمّام يعتمد الذوق في استخرج المعاني ويحاول ان يصحّح الروايات التي لا يرضاها بالمألوف من مذهب أبي تمّام أو من مذاهب الشعراء ، وقلّما لجأ الى ما رُوِيَ في نسخ الديوان . وللمرزوقي كتاب الانتصار من ظامة أبي تمّام[1] .

وكان أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩هـ) في عصر المرزوقي . وهو من أشدّ المعجبين بأبي تمّام وبشعره ، شرح ديوان ابي تمّام وسمّاه « ذكرى حبيب ، » اعجاباً بالتورية بين « حبيب » بمعنى المحبوب المعشوق وبين « حبيب » بن أوس (اسم أبي تمّام) .

وشرح المعري لغوي في الدرجة الأولى ، وفيه استطراد كثير في اللغة وفي تفسير المعاني . والمعري يريد أن يكون كل قول لأبي تمّام جميلاً ، فهو يدافع عن معاني أبي تمّام بكل سبيل .

ثم يأتي الخطيب التبريزي (ت٥١٢ هـ) تلميذ المعري . و شرحُ التبريزي

---

(1) Hss. (Berlin), Ahlw. 7539 (GAL I 85).

لشعر أبي تمّام يقوم في الأكثر على الجمع بين شروح المتقدّمين والاتيان بشرح ديوان أبي تمّام كاملاً .

ومن هذه السلسلة في اعقاب الدولة العبّاسية أبو البركات المبارك بن أحمد المعروف بابن المستوفى الاربليّ المتوفى في الموصل في ١٦ رمضان من سنة ٦٣٨ (١٢٤١ م) له كتاب النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمّام في عشر مجلّدات [١] . وابن المستوفى يجمع شروح الشرّاح على شعر أبي تمّام منذ أيام الصولي ؛ وهو عالم محقّق أمين ينسب كلّ قول من أقوال الشارحين الى صاحبه ، وقد يعقّب على هذه الأقوال [٢] .

---

(١) وفيات الاعيان (مصر ، مطبعة الوطن ١٢٩٩هـ) ٢ : ٢٠٦–٢١٠ .

(٢) محمد عبدة عزام (ديوان ابي تمام بشرح الخطيب التبريزي ١ : ٣٩–٤٣) .

obeikandl.com

فنون أبي تمام وأغراضه

ليس ديوان ابي تمام كبير الحجم بالاضافة الى دواوين أمثاله من الشعراء كأبي نواس والبحتري وابن الرومي وغيرهم ممن لمعوا في سماء الأدب العربي وحازوا إمارته على الدهر ، واتصلوا برجالات العرب والاسلام في السياسة والاجتماع . وابو تمام ككل الشعراء العرب — اذا استثنينا نفراً كالعباس بن الاحنف وعمر بن الفارض وأمثالهما — خاض في فنون الشعر جميعها ، ولكنه اكتسب شهرته بفنين منها : المديح والرثاء . ومع ان شعره في الرثاء اقل حجماً من شعره في المديح فانه لا يقل عنه قيمة ، بل ربما فاقه .

يحرص أصحاب الآثار على أن يجمعوا آثارهم في حياتهم . ومن الواضح أن آثارهم لا تتم عادة الا بتمام حياتهم . ومن هذا القبيل يجب أن نفهم الرواية عن عثمان بن المثنى القرطبي المتوفي سنة ٢٧٣ للهجرة (٨٨٦ — ٨٨٧م) أنه « رحل الى المشرق وقرأ على حبيب بن أوس ديوان شعره وأدخله الأندلس رواية عنه [١] » ولما بدأ ابن النديم [٢] تأليف كتابه « الفهرست » كان شعر أبي تمام لا يزال مفرقاً ، غير مجموع جمعاً منسقاً على طريقة ما ، فقدّره بنحو مائتي ورقة ، أي أربعة

---

(١) تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس لمحمد بن يوسف الازدي المعروف بابن الفرضي ، جزءان ، القاهرة ١٣٧٣هـ — ١٩٥٤م ، ١ : ٣٤٦ .

(٢) انتهى ابن النديم من تأليف كتاب « الفهرست » سنة ٣٧٧هـ (٩٨٧ — ٩٨٨م) ، وتوفي يوم الاربعاء لعشر بقين من شعبان سنة ٣٨٥ (أيلول ٩٩٥) .

آلاف بيت [1] . ثم جاء أبو بكر محمد بن يحيى الصولي المتوفى سنة ٣٣٠ للهجرة [2] فعمله مرتباً على الحروف في نحو ثلاثمائة صفحة [3] . أي ستة آلاف بيت . وكذلك صنعه علي بن حمزة الاصفهاني [4] على الانواع .

وبمراجعة الديوان يتضح لنا أن تقدير ابن النديم كان قريباً من الصواب . فاذا نحن اعتبرنا الديوان [5] وجدنا أنه يضم نحو ٦٧٣١ بيتاً موزعة كما يلي ، على وجه التقريب : باب المديح ٤٣٤٧ بيتاً ، باب الرثاء ٦٦٧ بيتاً ، باب العتاب ٢٥٦ بيتاً باب الوصف ١٧٧ بيتاً ، باب الغزل ٥٥٧ بيتاً ، باب الفخر ١٥٥ بيتاً ، باب الوعظ ٤٦ بيتاً ، باب الهجاء ٥٢٦ بيتاً .

وأغراض أبي تمام المفرقة في الأبواب السابقة — ولا سيما في بابي المديح والرثاء — كثيرة جداً . فمما يدل على كثرتها والاجادة فيها ما ورد لأبي تمام من المقاطع المختلفة المنثورة في «كتاب الزَهْرة» لأبي بكر محمد بن داوود الاصفهاني . وموضع الشاهد في ذلك أن كتاب الزهرة مؤلف في الحب والغزل وأحوالهما ، وأبو تمام ليس من فرسان هذين الميدانين . فاذا كان شاعرنا قد تناول هذه الاغراض التي ليست من جوانب عبقريته بمثل هذا اليسر والسعة والاجادة ، فما بالك بالاغراض التي تقوم عليها عبقريته !

اختار ابو بكر الاصفهاني في كتابه «الزهرة» مقاطعَ قصاراً تبلغ عشرة آلاف بيت نصفها في أحوال الحب وما يتصل بها لشعراء قدماء ومُحْدَثين

---

(١) الفهرست ١٦٥ . يذكر ابن النديم (الفهرست ١٥٩) أن الورقة تضم عشرين بيتاً من الشعر .
(٢) الفهرست ١٥١ .
(٣) الفهرست ١٦٥ .
(٤) الفهرست ١٦٥ .
(٥) فسر ألفاظه اللغوية ، وقف على طبعه محيي الدين الخياط . طبع بمناظرة والتزام محمد جمال (بيروت ١٣٢٣ هـ — ٩٠٥ م) — راجع تاريخ طبع الديوان بحساب الجمل على الصفحة «يو» ، للشيخ عبد الرحمن سلام والشيخ حسين الحبال . وقد أغفل محيي الدين الخياط إيراد جانب من هجاء أبي تمام الذي يمس بالآداب (الديوان ٤٨٥) . ويبدو أيضاً أن الأبواب الاخرى تنقص عدداً آخر من الابيات .

ثم فرّقها في مائة باب . ولكن لم يطبع الى اليوم من كتاب الزهرة الا نصفه فقط [١]. وكان الاصفهاني قد شرط على نفسه أن يورد المختارات مجردة من التعليق الا اذا كان فيها ما يزيد على غيره في الحسن والجودة زيادة ظاهرة [٢] . ثم انه تشدد فلم يبد استحسانه الا عنـــد ايراد ثمانٍ وأربعين مقطوعة كان لأبي تمام وحده تسع منها [٣] . أما مجموع الأبيا ت التي اختارها الاصفهاني من شعر أبي تمام، في النصف الأول من كتاب الزهرة ، فتبلغ مائة واثنين وسبعين بيتاً تؤلّف سبعاً وخمسين مقطوعة تتفرق في تسعة وعشرين باباً من أبواب الكتاب [٤] .

١ — المديح

لا يستطيع دارس ان يعتمد في نقد « المديح » على مدائح الشاعر ابداً ؛ فهي لا تدل غالباً على المادح ولا على الممدوح دَلالةً صادقة ، لأن حماسة الشاعر تزيد أو تنقص حسب زيادة امله او نقصه في نوال الممدوح . وكثيراً ما رأينـــا شاعراً يمدح شخصاً ثم يعاتبه ثم يهجوه ؛ ومن هؤلاء ابو تمام .

عرف ابو تمام كيف يصرّف مدحه، فلم ينتفع في ايامه شاعر بدرهم [٥] ؛ واذا علمنا ان المـــدح إرضاء الممدوح فحسب غفرنا كثـــيراً من ذنوب ابي تمام وأهملنا اكثر ما يأخذه به بالنقاد .

كان الناس في غمرة من الثقافة الفارسية يُوَلّون اوجههم شطرها في أكثر امور دنياهم، فلم يكن نصيب الأدب أقلّ من نصيب غيره حتى أصبحت بغداد على الحقيقة قطعة من بلاد الفرس . ثم كانت نكبة البرامكة ، وفَوْرة الزندقة .

---

(١) النصف الاول من كتاب الزهرة ، تأليف أبي بكر محمد بن أبي سليمان داود الاصفهاني ، اعتنى بنشره الدكتور لويس نيكل البوهيمي بمساعدة الشاعر الاديب ابراهيم عبد الفتاح طوقان (طبع في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩٣٢ م — ١٣٥١ هـ) .

(٢) كتاب الزهرة ٧ ، أشار الاصفهاني الى عدد من المعاني القبيحة في بابها ، ص ٢٦ .

(٣) كتاب الزهرة ٣٠، ٣٨، ٤٤، ١١٠، ١١٤، ١٩٢، ٣٠٣، ٣٢٣، ٣٢٦ .

(٤) راجع فهرس كتاب الزهرة ، ص ٣٧٥ .

(٥) الأغاني ١٥ : ٩٨ .

وصلَف الشعوبية ، وفتنة بابك ، ومجيء الأتراك فمال الناس – في الظاهر على الأقل – عن الفرس مَيْلَةً واحدة واستيقظت فيهم الروح العربية وحَنّوا الى البادية وأوانها من جديد ؛ مع أن الشعراء لم يكونوا قد انصرفوا عنها قط ، خصوصاً في أماديحهم .

يمتاز مديح ابي تمام بأربعة مظاهر احتاز بها حقوق الشعراء جميعاً .

(أ) الاشادة بالقومية العربية والدين الاسلامي : فهو يستمد منهما تاريخاً وعظمة وشهامة ينثرها في مدائحه ، وقد استطاع من اجل ذلك ان يفوز باعجاب بني العباس مع احتفاظه بحب آل البيت . ولا نَنْسَ ان الميل الى بني علي كان جريمة يومذاك .

من ذلك قوله في مدح المأمون :

لما رأيتَ الدينَ يخفُقُ قلبه ؛ والكفر فيه تغطرس وعُرامُ[1].
أوْرَيْتَ زَنْدَ عزائمٍ تحت الدُجى أسْرَجْنَ فِكْرَك ، والبلادُ ظلامُ .
فنهضْتَ تسحب ذيلَ جيش ساقه حسن اليقين ، وقاده الإقدام ،
حتى نقضت الروم منه بوقعةٍ شنعاءَ ليس لنقضها إبرام ؛
في معرَك ، أما الحِمام فمفطر في هَبوتيه والكُماة صيام[2] .
ما كان للإشراك فورة مشهد والله فيه ، وانت ، والاسلام !
لم يُقْرَ هذا السيفُ هذا الصبرَ في هيجاءَ ، إلاّ عزّ هذا الدينُ[3].

ومدح الواثق فقال :

يا ابن الخلائف : ان بردك ملؤه كرم ، يذوب المُزْنُ منه ، ولين :

---

(١) تغطرس : تكبر وتطاول وظلم . عرام : شدة وشراسة .

(٢) الحمام : الموت . الحمام مفطر : يأكل من المحاربين بنهم . والكماة (الابطال ، المحاربون) صيام قائمون على حذر وممسكون عن كل شيء (عن الطعام وعن كل شيء غير القتال) . الهبوة : الغبار الذي يشبه الدخان ويكون في المعارك عادة .

(٣) ما صبر الناس ، والسيوف بايديهم ، مثل هذا الصبر في حرب ما الا انتصر الاسلام .

نـــور من الماضي عليك ؛ كأنـــه ... نـــور عليه ، مـــن النبي ، مبـــين .
يسمو بك السفّاح ، والمنصور ، والـ ... مهديُّ ، والمعصوم ، والمـــأمون .
فرسانُ مملكـــةٍ ، أسود خلافـــة ... ظل الهـــدى غابٌ لهم وعـــرين .
قوم غدا المـــيراث مضروباً لهـــم ... سُور عليه من القُران [1] حـــصين .
قد اصبح الاســـلام في سلطانها ؛ ... والهنـــد بعض ثغورهـــا والصين .

وليس أحسن في هذا المقام من الاكتفاء بالاشارة الى قصيدة « فتح الفتوح » [2] .

وقريب من هذا قوله في مدح ابي سعيد الثغري بعد وقعة بابك :

تاللهِ أدري أ ألاسلام يشكرهـــا ... من وقعة ، ام بنو العباس ، ام أُدَدُ [3]
يومٌ به أخـــذ الاسلامُ زينتَه ... بأسرِها ، واكتسى فخراً به الأبـــد ؛
يوم يجيء ، إذا قـــام الحساب ، ولم ... يَذْمُمْهُ بدرٌ ولم يُفضَح به أُحُد [4] .
لم تبق مشركةٌ الا وقـــد علمت — ... إنْ لم تتُبْ — أنـــه للسيف ما تَلِدُ .
فاعذرْ حسودَكَ فيما قد خُصصت به ؛ ... ان العُلى حسنٌ في مثلها الحسد !

(ب) استخدام الحوادث القديمة والحديثة : اذا كان لها علاقة بالممدوح أو بآله او بقبيلته او بقومه ، ليرفع بها من شأنه ويشهّر مناقبَه ويُظهر مناسبه ويبيّن معالمه وشرف مقامه . ان أبا تمام لا يغفُل عن حادثة كبيرة يذكرها أو صغيرة يجلو أوجُهَها . وهذا يُمكّننا أحياناً من تعيين تاريخ قصائده .

مدح أبو تمام ابا دلف العجلي فقال مشيراً الى قومه [5] .

اذا افتخرتْ يوماً تميمٌ بقَوْسِها ، ... وزادت على ما وطّدت من مناقبِ ،
فأنتم بذي قارٍ امالت سيوفُـــكم ... عروشَ الذين استرهنوا قوسَ حاجب .

---

(١) القران (بتسهيل الهمزة) لغة في القرآن .
(٢) راجع في المختارات : السيف اصدق انباء من الكتب !
(٣) القسم المنفي تقديره (والله اني لا ادري ...) ، ادد : قبيلة الممدوح .
(٤) يوم الحساب : يوم القيامة ؛ بدر واحد غزوتان من غزوات النبي صلى الله عليه وسلم .
(٥) راجع المختارات .

محاسنُ من مجـــدٍ متى تَقْرِنوا بها محاسنَ أقوامٍ تكـــنْ كالمعائب .

ومدح ابو تمام محمدَ بن عبدالملك بن صالح الهاشمي فقال فيه[1] :

نرمي بأشباحنـــا الى مـــلك نأخذ من ماله ومن أدبـــهْ.
نجمُ بني صالح ؛ وهم أنجم الـ ـعالم من عُجمه ومن عربـــه .
رهط النبي ، الذي تَقَطَّعُ اسـ ـباب البرايـــا سوى سببـــه !

وانظر الآن كيف يحاول ابو تمام ان يجلوَ نسب خالد بن يزيد الشيباني في اجمل إهاب ، ويكسوه من المجد أغلى ثياب (خ ٩٨) .

مطر ابوك ، ابو أهِلّة وائـــل ؛ مـــلأ البسيطة عُدة وعديـــداً .
اكفـــاؤه تلد الرجـــالَ ؛ وإنمـــا ولد الحتوف اساوداً[2] وأسودا .
ورِثوا الأبوَّة والحظوظ ؛ فأصبحوا جمعوا جـــدوداً في العلى وجدوداً[3].
ومَشَوْا أمامَ أبي يزيـــدَ وحوله مشياً ، يَهُدّ الراسيات ، وئيدا ![4]
واذا رأيت أبا يـــزيدٍ في ندىً ووغىً ، ومبدىء غارةٍ ومُعيـــدا
أيقنتَ ان من السَماح شجاعـــةً تُدمي ؛ وأن من السماحة جوداً[5] .

(ح) فخامة الألفاظ والتراكيب : يحبّ ابو تمام من الألفاظ ما ملأ الاسماع ومن التراكيب ما شَغَلَ الفِكْرَ . ثم يَحيك حولها أقوالاً وآراءً يستعيرها من قوى الطبيعة المختلفة كالمطر والبحر والنار والحياة والموت والحرب ... وبعدئذ يَحبِكها بحكمةٍ عَرَفها أو اخترعها .

لما تغلب الجيش الاسلامي على بابَكَ مدح الشاعر احدَ قواده : ابا سعيد

---

(١) خ ٥٢ .
(٢) الاساود جمع اسود وهو الافعوان ذكر الافعى (الحية) .
(٣) الجدود الاولى : الاسلاف ، والثانية : الحظوظ .
(٤) الراسيات : الجبال . وئيد : الذي فيه صوت عال ، أو فيه رزانة وتأن .
(٥) السماح والسماحة : البذل ، وقصد الشاعر بالكلمة الاولى بذل النفس في الحرب ، و بالثانية بذل المال .

محمدَ بنَ يوسف الثغري فقال * :

وفي ارشقَ الهيجاءِ ، والخيل ترتمي ... بأبطالها في جاحم متوقِّـد[1]
عططت ، على رغم العدى ، انف بابك ... بعزمك عط الأتحمي المعضَّد[2] .
فإلاّ يكن ولىّ بشِلو مقـدَّد ... هناك ، فقد ولى بعزم مقـدد[3] .
رآك سديد الرأي والرمح في الوغى ... تأزّرُ بالإقدام (فيها) وترتـدي .
وليس يجلي الكربَ رمـحٌ مسدد ... اذا هـو لم يُؤنس برأي مسدد !

وأفخم من هذا قوله في عبدالله بن طاهر * * :

اليك جزعنـا مغرب الملك كلمـا ... وسَطنا مَلا صلّت عليك سباسبُه[4]
الى ملك لم يُلق كلكـل بأسه ... على ملك الا وللذل جانبـه[5] ؛
الى سالب الجبار بيضةَ ملكه ، ... وآمله غـاد عليه فسالبـه[6] .
فوالله لو لم يُلبس الدهـرَ فعلَه ... لأفسدت المـاءَ القَراح معائبـه[7] .

(*) راجع المختارات ايضاً .

(١) ارشق حصن للمسلمين خرج اليه بابك ليسطو على مال ارسله المعتصم للافشين ؛ جاحم متوقد : جمر شديد الاشتعال .

(٢) شققت عزمه كما يشق الثوب المخطط طولا (لسهولة ذلك) .

(٣) ان لم تتركه مقطع الاعضاء (قتيلا) فقد تركته خائر العزم (مفلولة جيوشه)

(**) راجع المختارات ايضاً .

(٤) قطعنا القسم الغربي من الامبر طورية العربية ، فكنا كلما نزلنا في ارض رأينا فيها من آثارك ما يستوجب الثناء عليك .

(٥) لم تحارب ملكاً الا ذل .

(٦) هو يسلب ملك الملك الجبار ؛ ومعتفيه : طالب رفده (عطائه) يسلبه ماله .

(٧) لو لم تنتشر افعاله في الدهر كله لكانت معائب الدهر قد افسدت كل شيء حتى الماء الصافي .

obeikandl.com

ويا ايها الساري فسِر غير حـــاذر جَنانَ ظلام*، او ردىً انت هائبه،
فقد بث عبـــدالله خوفَ انتقامـــه على الليل حتى ما تدِبَّ عقاربه!
يقولون: ان الليثَ ليثُ خفيـــة نواجذُه مطـــرورة ومخالبـــه[1]؛
وما الليث كلُّ الليث الا ابنُ عثرة يعيش فَواق ناقة وهو راهبه[2].

(د) احتفاظه بمركزه الشخصي: يضرب ابو تمام في الأرض الى ممدوحيه، فاذا وصل الى ابعدهم مكاناً هان عليه ان يرجع صفر اليدين منه على ان ينال رفده ويحمل في سبيل ذلك شيئاً من المِنّة، اويبدي قليلاً من التذلل[3]. واذا انشد فانما ينشد جالساً؛ فاذا اتفق ان طرب الممدوح فوقف[4] وقف هو ايضاً. وقد سبق القول في انه كان يرفع نفسه الى مركز الممدوح او فوقه احياناً، ويرفع شعره فوق النوال الذي يأخذه.

* * *

أما طول القصيدة وقِصَرها ونوع لغتها والتشابيه فيها والاستعارات، حتى القافية فكانت كثيراً ما تختلف باختلاف الممدوح؛ وسترى انه مدح ادباء وشعراء كمحمد بن عبدالملك الزيات الشاعر الوزير؛ وابي دلف العجلي الذي اخذ عنه الادباء والفضلاء والشعراء المجددون، وقد كان له صنعة في الغناء ايضاً؛ وعلي ابن محمد ... بن بسام، وكان أديباً شاعراً؛ وعلي بن الجهم الشاعر البغدادي المشهور[5]؛ وغيرهم. فهو أحرى أن يُجوّد في مدحهم. ثم لا استغرب انا أن

(*) وسطه ومعظمه.

(١، ٢) يعتقد الناس ان الاسد هو ساكن الاجمة، الظاهرة انيابه واظافره؛ ولو عقلوا لقالوا ان الاسد (الشجاع) هو من يذنب الى عبد الله بن طاهر ثم يستطيع ان يعيش بعد ذلك مقدار فواق الناقة (مسافة ما بين حلبتين) لأن الخوف من عبد الله بن طاهر يقتله.

(٣) راجع ص ٢٧ — ٢٨.

(٤) الاغاني ١٥: ١٠٠.

(٥) الاغاني ٩: ١٠٤—١٢٠.

يمدح ابو تمام أبا المُغيث موسى بن ابراهيم الرافقي [1] بخمس قصائد قوافي ثلاث منها ثاء وسين ، وضاد ويحشر فيها : نبيث ، دثوث ، ميث ، شثوث ، لويث ، قدموس ، شوس ، كردوس ، اريض ، نحيض ، قبيض دحيض ، انيض ... ؛ فالممدوح امير في الشام بدوي . ولا اظنك تعجب اذا رأيت هذه الكلمات الغريبة في مدحه لآل طوق من امراء عرب الشام [2] :

شجعاء جرّتها الذميل تلوكه أُصُلا اذا راح المَطِيُّ غِراثا [3] ؛
اجُد اذا ونتِ المهاري ارقلت رَقلا كتحريق الغضا حثحاثاً [4] ؛

---

(١) كان ابو المغيث في أيام أبي نواس فتى يكتب الحديث ، وقد شبب به ابونواس (ديوان ابي نواس ، مخطوطة برلين ٢٤٣ أ : يا سمي المدعو من جانب الطور ... (راجع ديوان ، طبعة آصاف ، مصر ١٨٩٨ ، ص ٤١٠ في موسى :

يا سمى الذي كلم اللـ ... ه وأدنى مكانه تقريباً .

(٢) ديوان خ ٦٤، ٦٥ .

(٣) شجعاء : طويلة ، مبسوطة الجسم وذلك من الصفات الحميدة في الحيوان ، ثم هي نشيطة. الجرة (بكسر الجم وتشديد الراء) : ما تخرجه الدابة من بطنها وتجتره (تعيد مضغه). الذميل : السير السريع . تلوكه : تمضغه ، تعض عليه وتديره في فمها . أصل (بضم الهمزة والصاد) جمع أصيل : العشية ، الزمن الذي يسبق غروب الشمس بنحو ساعتين . راح : رجع في المساء ، بلغ المساء . المطي جمع مطية : الدابة المعدة (بتشديد الدال) للركوب والاسفار . غراث (جمع غرثان وغرثي) : جياع. — هذه الناقة التي أركبها أنا في سفري مبسوطة الجسم نشيطة ، تسرع في السير . والاسراع في السير هين عليها لأنه طبيعة فيها (كالاجترار الذي هو طبيعة فيها أيضاً) ثم هي قادرة على السير الطويل تستمر في سيرها السريع طول النهار. فاذا جاء المساء ظلت هي تسير بنشاط ، بينما سائر المطي تكون قد تعبت (قد نفدت قوتها بنفاد ما في بطنها من الطعام الذي تجتره). والبيت التالي توضيح وتفسير لهذا البيت .

(٤) أجد : صلبة ، متينة البناء . ونى يني : تعب . المهارى : الخيل الفتية ، الصغيرة السن. أرقل : أسرع وهو يصعد في الجبل . الغضا : نوع من الشجر يصنع منه فحم جيد . حثحاث : سريع . — اذا تعبت المهار الفتية (من السير في السهل) فان ناقتي هذه تظل نشيطة قادرة على الاسراع في صعود الجبال . ويكون ارقالها هذا شديداً متوالياً كالاصوات التي يحدثها شجر الغضا وهو يحترق .

طلبت في جشم بن بكر مالكاً :

فصرعوه وعفرته الضرغاما .

لولا اعتمادك كنت في مندوحة عن برقعيد وأرضها باعيناثا .

أما اذا قلبت الديوان فوصلت الى مدائح الوزير الشاعر محمد بن عبدالملك الزيات فسترى أمثال « وصيف القلم » أو « ضيغمة مسرحة العيناء مكتوب » . ولا أحب أن أسير بك في الديوان بين مدائح الخلفاء والأمراء والقواد والشعراء فتزدحم خصائصها معاً فترى أن أبا تمام كان يصرف المديح حسب حاجته . ثم لا توهمن أن ما قلته لك قاعدة محكمة . لا ، انها كانت الفواعد هذا شواذها وأما الشذوذ يرتفع على القاعدة .

ممدوحو أبي تمام

يبلغ عدد ممدوحي ابي تمام ستين — اكثرهم من العرب — يشتركون في الهيئة الاجتماعية بين الخلفاء : كالمأمون والمعتصم ، وبين الكتاب : كرجل اسمه ابو زيد كان كاتباً لعبدالله بن طاهر . وترى هنا قائمة مفصلة بأسماء الممدوحين مع مقامهم الاجتماعي وعدد القصائد التي مُدحوا بها ، مبتدأ بعد

---

(١) طلبت : قصدت . الفتى : السيد البطل في قومه . جشم بن بكر قبيلة الممدوح . مالك هو مالك بن طوق الذي يمدحه الشاعر . الضرغام : الاسد الفحل الشديد . الهزبر : الاسد الضخم الشديد الصلب . الدلهاث : الاسد السريع .

(٢) لولا اعتمادك : لولا الاعتماد عليك والامل في عطاياك . كنت في مندوحة : كان لي غنى ، لم أحمل (بتشديد الميم المكسورة) نفسي مشقة هذا السفر الى برقعيد وباعيناثا (هذان موضعان في جزيرة ابن عمر ، في شمالي الشام والعراق) ، كنت في غنى عن كثرة التطواف في الارض .

(٣) انظر ايضاً امراء الشعر ص ٢٢٩ .

اسمائهم [1] .

(أ) آل البيت المالك وأسلافهم – علي بن ابي سالب وآله ١ المأمون (٢) ، المعتصم (٩) ، الواثق ٣ ، احمد بن المعتصم ٢ ، محمد بن عبدالملك بن صالح ١ ، الفضل بن صالح ١ .

(ب) وزراء الدولة – يحيى بن ثابت ١ ، الحسن بن سهل ٢ ، وهما من وزراء المأمون ؛ محمد بن عبدالملك الزيات ٦ .

(ح) القواد – خالد بن يزيد بن مَزيَد ٧ ، ابنه محمد ١ ؛ ابو سعيد محمد ابن يوسف الثغري ٢٩ . آل حُميد الطوسي ١ ، الافشين حيدر بن كاوس ١ ، جعفر الخياط ١ ، وابو دلف العجلي (٥) .

(د) الأمراء ، ورجال الدولة والقبائل – عبدالله بن طاهر امير خراسان ٤ ، آل طوق امراء عرب الشام : مالك بن طوق ٨ ، عمر بن طوق ٨ ؛ ابو المغيث الرافقي ٥ ، اسحق بن ابراهيم المصعبي ٤ ، القاضي احمد بن ابي دوأد ١٣ ، القاضي حُبيش بن المُعافى التنوخي ١ .

(هـ) رجال الاسر الكبرى – آل وهب (ولوا الوزارة ، ولكن بعد ابي تمام) : سليمان (٣) والحسن (١٢) ؛ علي بن مرة وابنه الحسن ٢ ، احمد بن عبدالكريم الطائي ٢ ، داوود بن داوود الطائي ٢ ، عمر بن عبدالعزيز الطائي ١ محمد بن شقيق الطائي ١ ، عيّاش بن لهَيعة الحضرمي ٣ .

(و) الشاعر ابو العباس نصر بن منصور بن بسام ٢ ، الشاعر علي بن الجهم ١ ، محمد بن حسان الضبي ٤ ، غالب بن عبدالحميد الصغدي ٤ ، محمد بن الهيثم بن شيانة ٧ ، ...

---

(١) العدد المحصور بقوسين فيه شك ينشأ من نسبة القصيدة اليه او إلى غيره . قارن هذه بما ذكره الدكتور الاسود (١ : ٣١) وبقائمة الاستاذ المقدسي (امراء الشعر ١٧٥–١٧٧) ويزاد عليها ما سيرويه الدكتور الاسود في الجزء الثاني ، ليس في طبعة الخياط .

أما سائر الممدوحين فهم متفاوتو المنزلة وقد خصهم الشاعر بقصيدة قصيدة ، ومنهم من كان نصيبه اثنتين ، او ثلاثاً في النادر .

٢ — الفخر

الفخر ان يمدح الشاعر نفسه او آله او قومه ثم يُشيد بذكرهم . وبضاعة ابي تمام في الفخر الخالص قليلة جداً واكثرها فخر بطيء ، ولعله قال اكثره في مصر قبل ان تقبل عليه الدنيا . ولا اعتقد ان في فخره شيئاً لا ينطوي على شكوى مرة ؛ وهذا الباب يفيدنا تاريخاً اكثر مما يفيدنا فنّاً .

اقبلت الدنيا على ابي تمام وزادت ثقته بنفسه فانتقل بالفخر الى قصائد المديح ينثره عند المناسبات ، وخصوصاً اذا كان الممدوحون طائيين : كآل عبدالكريم وآل حميد الطوسي ؛ او من عرب الجنوب الذين منهم بنو طيء كالقاضي أحمد ابن ابي دُؤاد الايادي ، وعياش بن لهيعة الحضرمي . وحسبك ما علمت من ذلك عند الكلام على خصائصه . ومن فخره ايضاً [١] .

وهل خاب من جذماه في اصل طيّءٍ : عدِيّ العديين القَلَمَّس ، او عمرو [٢] .
لنا جوهر لو خالط الأرض اصبحت ، وبُطنانها منه وظُهرانها تبر [٣]
مقاماتنا وقفٌ على الحِلم والحِجى : فأمردنا كهل ، واشيبنا حَبر [٤] .

---

(١) ديوان خ ٤٧٥ — ٤٧٦ .

(٢) جذماه من أصل طيء : أبوه وأمه كلاهما من قبيلة طيء . عدي : عدي بن نصر بن ربيعة والد الملوك المناذرة ملوك الحيرة . عدى العديين : أصل العديين المنسوبون الى عدى هذا . عمرو هو عمرو بن عدى أول ملوك الحيرة من المناذرة وأمه رقاش (بفتح الراء) بنت جذيمة (بفتح الجيم) . القلمس : في القاموس (٢ : ٢٤٢) أن القلمس رجل كناني من نسأة الشهور (من الذين كانوا يعينون الاشهر ويحرمون بعضها ، أي يحرمون الحرب فيها) .

(٣) الجوهر : أصل العناصر . — يقول أبو تمام : لو مزجنا نحن ، بني طيء ، بالناس كلهم لأصبح الناس كلهم أشرافاً عظماء (لو كان بنو طيء عنصراً طبيعياً ثم مزج هذا العنصر بمادة الارض كلها لأصبحت الارض كلها تبراً — ذهباً) .

(٤) الحلم : سعة الصدر والحكمة . الحجى : العقل . الحبر العالم ، الفقيه .

اذا زينة الدنيا من المـــال اعرضت فأزْيَنُ منها عندنا الحمد والشكر.
فمن شاء فليفخَرْ بما شاء من ندىً ؛ فليس لحي غيرَنا ذلك الفخـــر .

وفخَر ابو تمام بقومه ونفسه فأنشد [1] :

انا ابن الذين استُرْضِـعَ الجودُ فيهمُ وسُمّيَ فيهم وهو كهلٌ ويافـعُ [2] .
مضَوْا ؛ وكأن المكُرمات لديهمُ — لكَثْرةِ ما أوصوْا بهـن — شرائع .
هم استودعوا المعروفَ محفوظَ مالِنا فضاع ؛ وما ضاعت لدينا الودائع [3] .
اذا ما اغاروا فاحتوَوْا مالَ معشر اغارت عليهم — فاحتوته — الصنائع [4] ،
فكم شاعرٍ قد رامني فقَذَعْتُه بشعري ؛ فأمسى وهو خَزْيانُ ضارع [5] :
كشفت قناع الشعر عن حُر وجهه فطيرته عن فـكره وهو واقع [6]
بغُرّ يراها من يراها بسمعه ، ويدنو اليها ذو الحجى وهو شاسع [7] .

---

(١) ديوان خ ٤٧٩ — ٤٨٠ .
(٢) استرضع الجود فيهم : بنو طيء أرضعوا الجود وربوه (فأخذ صفاته منهم) .
(٣) أورثنا أسلافنا مالا كثيراً وأوصونا بالمعروف (الكرم) فبالغنا نحن في الكرم حتى أنفقنا جميع المال ، ولكن الكرم بقي فينا بعد ذهاب المال .
(٤) على أن بني طيء أهل حفاظ و شجاعة اذا اضطروا الى غزو قبيلة فانهم يستولون على جميع أموالها ، فاذا عرف أصحاب الحاجات بذلك وفدوا على بني طيء فمنحهم بنو طيء كل ما كانوا قد غنموه في غزوتهم .
(٥) قذعته بشعري : ضربته به (هجوته) . خزيان : مقهور . ضارع : ذليل .
(٦) كشفت قناع الشعر عن حر وجهه : أظهرته على حقيقته (برهنت على أنه ليس شاعراً وانه هو يتكلف قول الشعر) . طيرته عن فكر : شتت فكر ، أذهلته . واقع : باق في أرضه لا يستطيع مبارحتها لشدة ذهوله .
(٧) الغر : البيض (يقصد : بقصائد غر ، أي بارعة جيدة) . يراها من يراها بسمعه : الذي يفهمها (اذا سمعها) يدرك معانيها الجياد . ويدنو اليها ذو الحجى وهو شاسع : تصل اليه وهو في المكان البعيد : تنتشر في كل مكان .

يودّ وداداً أن أعضاء جسمه اذا أنشدت ــ شوقاً اليها ــ المسامع[1] .

٣ ــ الرثاء

يجب ان اقدم البحث في رثاء ابي تمام بالرواية الآتية[2] : بعد ان فرغ ابو تمام من انشاد قصيدته في ابي دلف العجلي « على مثلها من اربع وملاعب » ، قال (له ابو دلف) : انشدني قولك في محمد بن حُميد (كذا فليجلّ الخطب وليفدح الأمر) ... فأنشده (القصيدة) فقال : والله ودِدت انها فيّ ؛ فقال (ابو تمام) : بل افدي الامير بنفسي وأهلي ، واكون المقدّم . فقال : بل انه لم يمت من رُثي بهذا الشعر » .

* * *

رثاء ابي تمام اقل تكلفاً من مدحه وأرق عاطفة . وفي رثائه يظهر لنا ان ذلك الجبّار على الخطوب ، القاسي في الشدائد رقيق الحس ، وثيق الوداد . ثم هو لا يفقد رشده عند المصيبة ، ولا يشتبه رأيه فيمضيَ في التفجع ويصفَ ما يدل على التأوه في مبالغات لا جدوى تحتها . انه يبالغ ، ولكن في استعارات وكنايات وتشابيه كما يفعل في مدحه ؛ ثم يبقى على هدوئه فيستطيع طرق الأغراض على نحو ما ترى في بعض اماديحه . ألا تعجب حينما تسمعه يرثي ابنه بقوله[3] :

كنت عزيزاً به كثيراً ؛ وكنت صبّاً به ضنينا .
دافعت ــ الا المنون ــ عنه والمرء لا يدفع المنونا .
يُدير في رَجْعه لسانا يمنعه الموت ان يُبينا[4] .

---

(١) يطرب ذو العقل بهذه القصائد حتى يتمنى لو أن كل عضو في جسمه اذن حتى يسمع هذه القصائد بجميع أعضائه . الوداد تكون بفتح الواو وكسرها وضمها .
(٢) الاغاني ١٥ : ٩٩ــ١٠٠ ؛ ديوان خ ٤٠ــ٤٣ .
(٣) ديوان خ ٣٩١ .
(٤) الرجع : مرض الموت (راجع القاموس ٣ : ٢٨ س) . أن يبينا : أن يفصح ، أن يقول كلاماً مفهوماً .

وكثيرٌ مما ورد في ديوانه في الرثاء موسوم بهذا الطابع : فمن ذلك قوله يرثي أبا نصر محمد بن حميد الطائي [1] :

أصَمَّ بك الناعي ، وان كان أسمعا ؛ واصبح مغنى الجود بعدك بَلْقعا[2].
فتى ، كلما ارتاد الشجاعُ من الردى
مَفَرّاً — غداةَ المأزِقِ — ارتاد مصرعا [3].
اذا ساء يوماً في الكريهة منظرٌ تصلاّه ، عِلماً ان سيحسُن مَسْمعا[4].
فان تُرْمَ عن عمر تدانى به المدى — فخانك ، حتى لم تجد فيه منزِعا —[5]
فما كنتَ الا السيفَ لاقى ضريبةً فقطّعها ، ثم انثني فستقطّعا [6].

* * *

رثاء آل حميد الطوسي

اجاد ابو تمام في رثاء بني حُميد الطوسي خاصة حتى كان من أمر ذلك الرواية التي بدأنا بها هذا البحث . ونحن نرى ان رثاءه لآل حميد يختلف من سائر

---

(١) ديوان خ ٣٧٤ — ٣٧٥ .
(٢) ان الذي نادى بنعيك (بخبر موتك) جعل الذين سمعوا صماً (لهول ما سمعوا منه) . مغنى الجود : مسكن الجود . بلقع : خراب . — اقفرت الارض من الجود .
(٣) اذا حاول الشجاع أن يفر من المعركة الشديدة مضى هو الى تلك المعركة بقدم ثابتة وهو مدرك أنه سيموت فيها .
(٦) هو يعلم أنه كلما كانت المعركة أشد كان ذكر الذي يخوضها في الناس أحسن . تصلى : تعرض للنار بجسمه . أن : مخففة من « ان » (انه) . يحسن : فعل مضارع مرفوع لتجرده عن الناصب والجازم .
(٤) ان ترم ، ان تقتل ، اذا قتلت . عمر تدانى به المدى : عمر قصير . المنزع : المكان في وتر القوس يوضع عليه السهم ثم يجذب قبل اطلاق السهم . — كانت المعركة أشد مما يستطيع المحارب ، مهما كان شجاعاً ومقتدراً في الحرب ، أن ينجو من الموت .
(٥) لقد كنت كالسيف الذي ضرب به جسم قاس جداً ، فقطع ذلك الجسم ولكنه ارتد من شدة الضربة على نفسه ثم انكسر .

رثائه . أليس عجيباً ألاّ يكون لأبي تمّام في بني حُميد سوى قصيدة واحدة في المديح[1] ثم يكون له في رثائهم ثماني قصائد اكثرها على قِصَرِ بعضها عن عيون قصائده في الرثاء[2] ؟

يظهر ان عَلاقة ابي تمام بآل حُميد كانت صداقة اكثر منها منفعة ؛ وكانت إعجاباً بأعمالهم وإكباراً لحِفاظهم . وقد كانوا لذلك اهلاً . وما قصيدة «كذا فليجل» سوى صورة لنفس محمد بن حميد ؛ نعرف ذلك من كتب التواريخ . روى ابن الأثير في أخبار عام ٢١٤ هـ ما يلي [3] :

« ... كمن رجال بابك بين الصخور ؛ فلما صار رجال محمد (بن حميد الطوسي) يصعّدون في الجبل ، وصاروا على مقدار ثلاثة فراسخ ، انحدر بابك اليهم فيمن معه فانهزم الناس . فأمرهم أبو سعيد (الثغري) ومحمد بن حميد بالصبر فلم يفعلوا ، ومروا على وجوههم ، والقتل يأخذهم . وصبر محمد بن حميد مكانه وفر من كان معه غيرَ رجل واحد . وسارا يطلبان الخلاص ، فرأى (محمد) جماعة وقتالاً ، فقصدهم فرأى الخرمية يقاتلون طائفة من أصحابه . فلما رآه الخرمية قصدوه لِما رأوا عليه من حسن هيئته ، فقاتلهم وضربوا سيفه ؛ ثم اكبّوا عليه فقتلوه » .

هذه هي الحادثة التي استحقت الخلود في قصيدة من قصائد ابي تمام فاذا هي [4] :

كذا فليجلّ الخطبُ ، ولْيَفدَحِ الأمرُ ؛ فليس لعين لم يَفِضْ ماؤها عُذر .

ومن أجمل مقطوعات ابي تمام في الرثاء ثلاثة أبيات قالها في القائد الطائي جعفر الخياط ، هي (خ ٣٨٧) :

رَحِمَ الله جعفراً ؛ فلقد كا (م) ن أبيّاً ، وكان شهماً رحيما .

---

(١) جعل امراء الشعر القصائد في مديح آل حميد ستاً (ص ١٧٦) ؛ ولم يذكر الدكتور الاسود شيئاً من ذلك (ص ٣١) عند الكلام على ممدوحي ابي تمام .

(٢) ديوان خ ٣٥٨، ٣٦٦، ٣٦٨، ٣٧١، ٣٧٤، ٣٨١، ٣٨٧ مرتين .

(٣) ابن الأثير ٦ : ١٦٨-١٦٩ في أيام المأمون .

(٤) راجع المختارات .

مثّل الموتَ ، بين عينيه ، والذ (م) لَ ؛ فكُلاّ رأه خَطْباً عظيما .
ثم ثارت بـــه الحميَّة قِـــدْماً فأمات العدى ، ومات كريما !

وكثيراً ما يذهب شاعرنا الى ضرب الأمثال واستجماع الحكمة في الرثاء ، كقوله في محمد بن الفضل الحِمْيري (خ ٣٥٣) :

جفَّ دَرّ الدنيا ؛ فقد أصبحت تكـ (م) تـــال ارواحَنا بغير حساب .
لو بدت سافراً أُهينتْ ؛ ولـــكن شغَفَ الناسَ حسنُها في النِقاب .
ان ريبَ الزمـــان يُحسن ان يُهـ (م) دي الرزايا[1] الى ذوي الاحساب !

او قوله في رثاء ابنين لعبدالله بن طاهر ماتا في يوم واحد (خ ٣٨٠) :

ان الفجيعةَ بالرياض ، نواضراً ، لأجـــلّ منها بالرياض ، ذوابلا .
لهَفي على تلك الشواهد منهما لو أُمْهِلت حتى تكونَ شمائلا[2] .
واذا رأيتَ من الهلال نمـــوَّه ايقنت أنْ سيصيرُ بدراً كامـــلا !

* * *

لم يرثِ ابو تمام من الذين مدحهم الاّ خالد بن يزيد بن مَزْيد ، واسحق بن ابي ربعي ، وعبدالحميد بن غالب ، والاّ بني حميد [3] . وقد عزى ابا سعيد الثغري بولد له [4] . اما الذين رثاهم من غير هؤلاء الذين لم يمدحهم فبضعة عشر شخصاً منهم أقارب بعض الممدوحين . ولم يرث ابو تمام المعتصم بقصيدة مستقلة ، بل ادخل رثاءه في تهنئة ابنه الواثق بالخلافة .

نمر في ديوان ابي تمام بطائفة من الأبيات رثى الشاعر بها بعض آله واخوانه ، فإذا قرأتها لم تشك قط في أن الشاعر تسيل نفسه لوعة وأسى ، وان الاسى كان من نفسه في قرارتها . اما رثاؤه لغيرهم فكان قسم منه يشبه ما تقدم ويشِفّ عن

---

(١) الرزايا جمع رزيئة : المصيبة . ذوو الاحساب : اصحاب الاعمال المجيدة .
(٢) الشواهد : العلامات ، الدلائل . الشمائل : الخصال ، العادات .
(٣) ديوان خ ٣٤٧ ، ٣٦٣ ، ٣٥٤ ؛ وراجع ايضاً رثاء بني حميد .
(٥) خ ٣٥١ ، ٣٧٩ ، ٣٧٧ .

عاطفة متأصلة ، وقسم منه يشف عن عاطفة مكتسبة تكاد تعرفها من قوله في رثاء خالد بن يزيد بن مزيد :

وكنا جميعاً شريكَيْ عِنان ، رضيعَيْ لَبانٍ ، خليلي صفاء .
وكنت اراه بعين الجلال وكان يراني بعين الإخاء [1] .

وكثير من شعره في الرثاء على هذا النمط ؛ وقد أجاد في سائر مراثيه اظهار الأسى ، وان لم يكن يحسه احساسه في رثاء ولده الوحيد . اما انه «كان يتخذ موت الميت سبباً ليعرب عن أحزان نفسه لأنه من اولئك الذين صحب الحزن نفوسهم [2] ، فحكم يصيب هوى من نفوس الذين تعمقوا في دراسة ابي تمام ، ولكن يعترضهم في سبيل اعتقاد ذلك قلة الرثاء في ديوان الشاعر . ثم اذا نحن كابدنا وجاهدنا واستشهدنا لاثبات هذا الرأي لم نخرج بغير ما ألفناه عند جميع الشعراء المداحين الرثائين من انهم يتصنعون الأسى احياناً ، وكان بعضهم يعد قصائد المديح والرثاء قبل امد ، فاذا فوجئوا بإنعام على رجل او بموته لم يحتج احدهم الا الى بضعة أبيات فيها اسم الممدوح او المرثي وفيها ذكر المناسبة ... ثم لنختم هذا البحث بقول ابن رشيق : وابو تمام من المعدودين في اجادة الرثاء [3] .

٤ ــ العتاب

يختلف عتاب ابي تمام من عتاب ابي نواس [4] ، فان ابا تمام لم يعاتب الا على تأخر رفد؛ لذلك كان من المنتظر ان تكون معاتباته كلها ، على قلتها [5] ، في الذين مدحهم . ولكن قد شذ له عن ذلك نحو ثلاث قطع : واحدة عاتب رجلاً فيها في نبيذ ــ وهو رفد ايضاً ــ واخرى عاتب فيها الحسن بن وهب لأنه يميل

---

(١) خ ٣٤٧، ٣٥٠ .
(٢) مردم ، شعراء الشام ص ٥٣ .
(٣) العمدة ٢ : ١١٩ .
(٤) ابونواس ٦٤ .
(٥) ديوان خ ٣٩٤–٤١٢ .

الى غلامه ، وثالثة في صديق قطعه ...

يتّبع ابو تمام في عتابه طريقته في مدحه فهو فيه خشن الملمس، والعتاب يحتاج الى نعومة ؛ وهو فظّ في سَوْقه، والعتاب يحتاج الى مناسبة؛ فشاعرنا يقول مثلاً :

ابا دُلَف [1] ، لم يبق طالب حاجة من الناس غيري ، والمحل جديبُ .
يسرك انيّ أُبْتُ عنك مخيّبـــا ، ولم يُرَ خَلْقٌ من جَداك يخيب [2] !

ولا اظنك تجهل مقام ابي دلف من ابي تمام وقصيدته فيه « على مثلها مـــن أربُعٍ ملاعب » . وعاتب أبو تمام القاضيَ أحمد بن ابي دوّاد بقوله [3] :

اعلم ، وانت المرء غير معلَّم ؛ وافهم — جعلت فداك — غير مفهّم.
ان اصطناع المرء مـــا لم تُولِهِ مستكمَلاً كالبُرْد ليس بمُعْلَم ! [4]

فعتابه ، على ما ابصرت ، منفّر يزيد في الصد ولا يبقي على الود ، الا مـــا كان من مثل عتابه لأبي سعيد الثغري ، وهو نادر ، نحو قوله :

انما البِشْر روضةٌ ؛ فإذا كا (م) ن ببـــذلٍ فروضةٌ وغديرُ [5] .
فاقسُم اللحظَ بَيْنَنا ، ان في اللحـ (م) ـظ لَعنوانَ ما يُجِنّ الضمير [6] .

٥ — الوعيد والهجاء

يعاتب الشاعر الممدح تذكرة بصلته واستدراراً ليديه ، فاذا قنط من نواله انقلب اليه يهجوه . الا ان نفراً من الشعراء يميلون في أولّ الأمر الى الوعيد والانذار قبل ان يخطوا الى الهجاء : يفعلون ذلك في اثناء مدح او عتاب . من هذا القبيل ما

---

(١) راجع ديوان خ ٣٩٥ .
(٢) آب : رجع
(٣) ديوان خ ٤٠٨ .
(٤) البرد : ثوب من حرير . معلم : فيه علامات او نقوش . ليس بمعلم : قليل القيمة .
(٥) البشر : البشاشة وطلاقة الوجه ، السرور بالذين نلقاهم .
(٦) جن : ستر .

انهى به ابو تمام قصيدتين له في مدح ابي المغيث الرافقي [1] :

وكن كريماً تجدْ كريمـاً ... في مدحه ، يا ابا المـغيث .
– وغداتَبيّنُ كيف غِبّ مدائحي ... ان ملن بي هِمَمي الى بغداد .
ومن العجائب شاعرٌ ضاعت به ... هِمّاته ، او ضاع عند جواد !

اما تعريضه في اثناء العتاب فمنه : (خ ٣٩٤ ، ٤٠٨)

وانك لا تسر بيوم حمـد ... تسر به ، ومالُك لا يُساء .
فان المدح في الأقوام ما لم ... يشيعْ بالجزاء هو الهجـاء .
– سأقطع ارسان العتاب بمنطق ... قصيرُ عِناء الفكر فيه طويلُ
وان امرأ ضنّت يداه على امرىء ... بنيلِ يد من غيره لبخيل .

أفتشكّ بعد ذلك في ان هذا تحفّز للهجاء ؟

تناول الشاعر بهجائه نحو عشرين شخصاً فيهم ستة أشخاص كان قد مدحهم ؛ منهم عياش بن لهيعة ، وقد اختصه باثنتي عشْرة قطعة قال واحدة منها بعد موته ؛ ومنهم ابو المغيث الرافقي هجاه بخمس مقطعات ؛ وله قطعة قطعة في مالك بـن طوق ، وصالح بن عبدالله الهاشمي واسحق بن ابراهيم المصعبي . وقيل عرض بهجاء احد بني حميد ولم يهجه لمكان اسرته .

اصطدم ابو تمام بشعراء كثيرين في مصر وفي العراق بعضهم مشهور كدعبل ومحمد بن ابي يزيد ، وبعضهم اقل شهرة . وهنالك بضع قطع أخرى في اشخاص مختلفـين .

* * *

لا أعتقد ان ابا تمام نال بهجائه منالاً قريباً أو بعيداً ، فبعض شعره في هذه الناحية عاديّ ، وسائره أدنى مرتبة . انه لم يتّبع طريقاً معروفاً يصل به الى غايته فهو لم يعمد الى ما يترك هجاءه اعلق بالقلب وألصق بالنفس وأسرع الى الحفظ ؛

---

(١) ديوان خ ٦٧ ، ١٣٥ .

ولا بلغ به من الحقيقة والمرارة ما يوجع حقاً ، وان كان قد افحش وأقذع في بعضه . لذلك ترى كثيراً من هجائه اشبه بالمديح ، حتى انه لو كان مديحاً لما انحطّ عن شعره الراقي ، تأمل ذلك في هجائه عتبةَ بن ابي عاصم [1] :

دِمَنٌ تجمعت النوى في رَبعها ... وتفرقت فيها السحاب الفُرَّق [2] .
فترقرقت عيني دماً فيها الى ... ان خِلت مهجتيَ التي تترقرق .
هِممُ الفتى في الأرض اغصان المنى ... غُرست ، وليست كل حين تورق .

فهذه من أعلى طبقات المعاني ، ولكنها لا تصلح في معرض هجاء . ومثل ذلك قوله [3] :

يكفيك حزناً أنّ عقلك ذاهب ... يبكي عليك ، وان جهلك يضحك !

ويندر في ديوانه مثل قوله في عياش بن لهيعة ، هجاءً يطويه على تهكم صحيح ومعان قريبة وصور بارعة [4] :

صدّق مقالته ان قال ، مجتهداً : « لاوالرغيفِ ! »فذاك البُرُّ من قسمِه [5] .
وان هممْتَ به فافْتِكْ بخُبزته ؛ ... فانها قطعة من لحمه ودمه .
قد كان يعجبني ، لو ان غَيرته ... على جَرادقه كانت على حُرمه [6] !

هذه احدى نواحي هجاء ابي تمام لأن له في الاقذاع بضاعة غير قليلة [7] ؛ ولكن هذه البضاعة ليست في الدواوين التي بين ايدينا فقد أغفل الخياط ما يمس

---

(١) ديوان خ ٤٩٩ .
(٢) « اما كن كثر فراق اهلها مرة بعد مرة منذ زمن طويل .. »
(٣) ديوان خ ٥٠١ .
(٤) ديوان خ ٥٠٦ .
(٥) البر (بالضم) : القمح . يقول : عياش بن لهيعه يقدر البر (القمح ، الطعام) قدراً عظيماً ويقدسه حتى أنه يقسم به .
(٦) الجردقة : الرغيف . الحرم بضم ففتح جمع حرمة بالضم : الاهل ، الزوجة ، المرأة ...
(٧) لقد غفل الخياط فاثبت في نسخته ابياتاً تلمح فيها الاقذاع لمحا لاشك فيه . راجع ص ٤٨٦ س ٧ ، ٤٨٨ ؛ ٤٩٥ هجاء عبدالله الكاتب ؛ ٤٩٣ س ١٥ – ١٨ ،

الآداب [1] ، وكذلك لا نطمع ان نراها في « شرح ديوان ابي تمام » [2] .

٦ – الوصف

يجب ان نقسم هذا البحث قسمين : الوصفَ الخالص اي الذي قيل في الوصف خاصة ؛ والوصف الذي جاء في اثناء المديح . ثم يجب ان نعلم ان باب المديح وان اسلوب ابي تمام فيه يغلبان على كل باب من ابواب الديوان .

تجيش نفس ابي تمام بصورة من صور الطبيعة او بمشهد من مشاهد الاجتماع فلا يكاد وصف ذلك يخرج من فيه الا مقيداً بالصناعة اللفظية ، ممزوجاً بعناصرَ من الشكوى والفخر وما اليهما ؛ فوصفه هنا حقيقة ولكن بلا ألوان جذابة ولا صدق في النقل عن الطبيعة . فمن ذلك قوله في غمامة ممطرة [3] :

كالشيعة ألْتفّت على النقيب ، آخذة بطاعة الجَنوبِ [4] .
لما بدت للأرض من قريب تشوقت لوَبلها السكوب [5]
تشوقَ [1] المريض للطبيب ، وطرب المحب للحبيب ؛
لذيذة الريق مع الصبيب ، كأنما تهمي على القلوب ! [6]

---

(١) ديوان ٤٨٥ .
(٢) للدكتور ، الاسود ، راجع ص ٣١ ؛ ولم يصل طبع ديوان ابي تمام بعد الى باب الهجاء .
(٣) ديوان خ ٤١٤ .
(٤) الشيعة : أتباع مذهب اسلامي يقال له المذهب الامامي أو المذهب الاثنا عشري. يرى الشيعة أن الامام علياً ، كرم الله وجهه ، كان يجب أن يكون الخليفة الاول بعد الرسول مباشرة وأن تستمر الخلافة بعده في عقبه . وهم يجعلون هذا الرأي أصلا من أصول المذهب . النقيب : نقيب الاشراف العلويين: منصب أحدث في العصر العباسي، وصاحبه هو الرئيس الديني للشيعة (يريد أن يقول : ان هذه الغيمة متراكمة كثيفة مجتمعة كما يجتمع الشيعة حول نقيبهم) . آخذة بطاعة الجنوب : مطيعة للريح الهابة من الجنوب ومتجهة من الجنوب الى الشمال (مملوءة بالمطر) .
(٥) تشوق : اشتاق ، مال برغبة شديدة . وربما كانت الكلمة « تشوف » : تطلع وتطاول لينظر . الوبل : المطر الغزير . السكوب : المنصب باستمرار .
(٦) لذيذة الريق : طيبة (تشربها الارض بسرعة مع الصبيب : مع كثرة انصبابها وهطولها =

اما النوع الثاني فصور بلاحقيقة ابدع فيها الشاعر لِما رقّشها به من الجناس اوالطباق وبعيد التشبيه او قريب الاستعارة تبعاً للقصيدة التي استقرت فيها، كوصف لخمر أو وصف القلم خاصة فإنّ فيه شيئاً من الحقيقة في كثير من بعيد الخيال ولطيف التجنيس .

وأما الاوصاف التي يجيدها شاعرنا فأوصاف المعارك والحروب . هناك تشعر حقيقة ان شعور ابي تمام يغمرك ويستولي عليك فتتصل نفسك بنفسه . ولا بِدعَ ان وصف ابو تمام معركة عمورية وأجاد، فلقد شاهدها بنفسه . واذا قرأت لـه وصفه الخيل في الحرب [1] :

واذا كان عارضُ المـوت سحّا ... خضِلاً بالردى اجشَّ هزيمـا [2] ،
في ضِرام من الـوغى واشتعال ... تحسب الجـو منهما محمومـا ،
واكتست ضُمّر الجيـاد المذاكي ... من لباس الهيجا دمـاً وحميما [3]
في مَكَرٍّ تلوكهـا الحرب فيه ... وهـي مُقورَّة تلوك الشكيما [4]

= (لأن الأرض عطشى محتاجة الى المطر) . كأنما تهمي (تسقط) على القلوب : تدخل الاطمئنان على القلوب لثقة القلوب بأن تلك الغيمة ستقضي على القحط وتأتي بالخصب .

(١) ديوان خ ٢٩٣ .

(٢) العارض : السحاب المقبل . عارض الموت : هول المعركة . سحا : غزيراً متصلا (شديداً) . خضلا : مبتلا (المعركة تحمل معها موتاً أكيداً للذين فيها) أجش : خشن الصوت (ذو رعد قوى = يدخل الرعب على القلوب) . الهزيم : صوت الرعد الشديد الذي ينبجس معه المطر من الغيم (يقصد : هذه المعركة تحمل الى المحاربين الخوف الشديد مع الموت الاكيد) .

(٣) الجياد جمع جواد : الحصان . الضمر جمع ضامر : النحيل الخصر ، وفي القاموس (٢ : ٧٦) الضامر : الفرس الدقيق الحاجبين . المذاكي من الخيل التي أتى عليها بعد قروحها (بعد جراحها التي أصيبت بها في المعارك) سنة اوسنتان (كناية عن اختبارها في الحرب) . الحميم : الماء الحار (العرق المتصبب من الخيل) .

(٤) مكر : مجال الهجوم في المعركة . تلوكها الحرب فيه : تعلكها (الخيل تحارب في مكان ضيق والسلاح يعمل فيها تقطيعاً فكأن الحرب تعك المتحاربين بأضراس لها) . مقورة : منثنية على نفسها (لضيق المكان) . تلوك الشكيم : تعلك (تمض على) الشكيم (الحديدة التي في طرف اللجام والتي تكون في فم الحصان (كناية عن الغضب والشدة في القتال) .

ايقنت انك ترى تلك الجياد تخوض الغمار امام عينيك وقد ضاقت حومة الوغى بالفرسان وصبر الفريقان ، والموت يتناول الأبطال غير آبه للنتيجة ! ..

وصف القلم

من قصيدة يمدح ابو تمامٍ فيها محمد بن عبدالملك الزيات[1] :

لك القلمُ الأعلى . الذي بشَباتـــه
تُصاب ، من الأمر ، الكُلى والمفاصلُ[2] .

لُعابُ الأفاعي القاتـــلاتِ لُعابُه ،
وأرْيُ الجنى أشتارتْهُ ايدٍ عواسلُ[3] .

له ريقة طلٌّ ، ولكنَّ وقعَها ،
بآثاره في الشرق والغرب ، وابل[4] .

فصيحٌ اذا استنطقتَه وهو راكب[5] ؛
واعجمُ ان خاطبتَه وهو راجل .

اذا ما امتطى الخمسَ اللطافَ ، وأُفرغت
عليه شِعابُ الفكر وهي حوافل[6] ،

اطاعته اطرافُ القنا ؛ وتـــقوّضت
لنجواه ، تقويضَ الخيام ، الجحافل[7] .

---

(١) راجع صرخ ٢٥٧–٢٥٨ (٢) الشباة : الحد ؛ اصاب الكلى والمفاصل : احكم الاصابة.
(٣) اللعاب : الريق ؛ الاري : العسل ؛ الجنى : القطف او ما يقطف ؛ اشتار : استخرج العسل خاصة ؛ العواسل : المستخرجة للعسل – انقلمك ينفث مرة سماً ، ومرة يأتي بالشهد والعسل.
(٤) ريقه طل : قليل الرطوبة (بالحبر) ولكن اثره وابل (مطر شديد) .
(٥) اذا ركب الاصابع (تناولته الاصابع) كان فصيحاً (كتب الانسان ؛ ونظم الشعر الخ)
(٦) صورة لتناول القلم بالاصابع وتزاحم الافكار في رأس الاديب وهو يكتب .
(٧) الاوامر التي تصدر مكتوبة الى الآفاق تطيعها الرماح (تبدأ الحرب او تنتهي) ، وبها تتقوض (تنهزم) الجحافل (الجيوش) .

اذا استعزَّ الذهنَ الذكيَّ واقبلت اعاليه، في القرطاس، وهي أسافل[1] :
وقد رفدته الخُنصران ، وسددت ثلاثَ نواحيه الثلاثُ الأنامل[2] .
رأيت جليلا شأنُه، وهو مُرْهَفُ ضَنى ؛ وسمينا خطبُه وهو ناحل[3].

٧ – الغزل والنسيب[4] :

لا ريب في ان هذا الباب في ديوان ابي تمام ادنى فنونه مرتبة عن مستوى مديحه . « ولم يكن لأبي تمام حلاوة توجب له حسن التغزل ، وانما يقع له التافه اليسير في خلال القصائد »[5] لما علمت من خصائصه واسلوبه . واذا كانت الصنعة قد اكسبت مديحه فخامة واصابة مرمى فانها قد افسدت وصفه وغزله ونسيبه . وسواء عليك أرأيت غزله البحت او غزله في ثنايا المديح . فانما الذي يروعك منه تلك التشابيه والاستعارات التي قنص بها معانيه الغريبة ، أما العاطفة فلا . وأحسن الغزل ما أثار العاطفة لا ما أجهد العقل .

* * *

لابي تمام غزلان : مؤنث يكاد يقصره على مطالع قصائده في المديح ؛ ومذكر لا تكاد ترى سواه في باب الغزل عنده . فهو اذن ، ان تكلف الغزل أتى به مؤنثاً لقبح الغزل المذكر في المدائح ؛ وان جرى على هواه اكثرَ من الغزل المذكر حتى تنكر ان يكون سبيله غير ذلك . وكيفما قلبت في غزله الخالص فلا ترى فيه سوى شهوة تحرقه يَوَدُّ أن لو يطفئها عند كل حبيب . وكل عزة نفس في حياته العامة وفي مديحه يضيعها في حياته الخاصة وفي غزله .

لم يُعرف ابو تمام بحبيبة لها اسم معين ولا عُرفت له من لها اسم معين . وكذلك

---

(١) اذا استعان القلم بالذهن ثم انحنى على الورق .
(٢) رفد : سند
(٣) رأيت امره عظيماً مع انه هو قصبة دقيقة (رفيعة من السقم) .
(٤) راجع الفرق بين الغزل والنسيب في « ابو نواس » للمؤلف (منشورات الشرق الجديد ، اعلام الفكر العربي ، رقم ٤) ص ١٣٦ .
(٥) العمدة ٢ : ٩٥ .

نجـــد في غزله المذكر بضعة اسماء له نحو اصحابها عاطفة عارضة لا تلبث ان تستقر حتى تنتقل ثائرة تبحث عن لهو جديد .

اما نسيبه ، اوغزله ايضاً ، في اثناء ابيات المديح فيجب ألاّ نشك ساعة في انه صناعة اكثرَ منه عاطفةً ؛ وان كان يستهويك كقوله [1] :

السالبات امرَأ عزيمتَـــه بالسحر ، والنافثات في عُقَدِه [2] .

لبِسْن ظِلَّيْنِ : ظلَّ امنٍ من الدهـــر ، وظلاً من لهـــوه ودَده [3] .

أو قولـــه [4] :

ـ كأن الدمع يُنثر من نظام على تلك المحاجر والخدود [5] .

تريدين المزيد ؛ وليس عنـــدي ـ

وراء محل حبـــك ـ من مزيـــد !

ومع انه لم يحسن النسيب فقد أحسن التخلص منه الى المديح احياناً .

واذا كانت اخلاق ابي تمام على ما ذكرنا فمن البديهي ان يكون له مُجون ، سوى ان ناشري ديوانه قد اهملوا ذلك البتة [6] .

نموذج من غزله

لا آكلُ التفاح ، عمري ، ولو جنيتَه لي من جِنانِ الخلودْ .

---

(١) ديوان خ ٩١ .

(٢) النافثات في العقد : الساحرات . كانت الساحرة تمسك خيطاً بيدها وتتمتى ما تشاء ان يصيب المسحور من ضرر ثم تعقد في الخيط عند كل امنية لها عقدة وتنفث فيهـا (وتنفخ عليهـا) . راجع القرآن الكريم ايضاً (سورة الفلق ، السورة ١١٣) .

(٣) الدد : اللعب .

(٤) ديوان خ ١٠٨ .

(٥) يشبه الدموع المنحدرة على الخدين كاللؤلؤ الذي ينتثر اذا انقطع النظام (الخيط الذي يسلك فيه اللؤلؤ) . المحجر (موضع العين في الوجه) .

(٦) ديوان خ ٤٨٥ .

والله لا أترُكــه للقِــلى ؛ لــكنني اتركــه للــخدود !

* * *

عَفَّت محاسنُه عندي [1] إساءتَــهُ ، حتى لقد حَسُنت عندي مساويهِ .
هذا مُحِبك أدمى الشوقُ مهجتَه ؛ فكيف تُنكر ان تَــدمى مآقيه ؟

* * *

اي شيء يكــونُ احسنَ مــن صبٍ اديب مُــتَيَّمٍ بأديب؟
كادَ ان يكتُبَ الهوى بين عينيـ ـه كتاباً: « هذا حبيبُ حبيبِ ! [2] »
غيرَ أني لو كُنت اعشَقُ نفسي لتَنَغّصْتُ عيشَها بالــرقيب .

* * *

قد قصَرنا دونكَ الابصار خوفــاً ان تَذوبــا .
كلمــا زِدناكَ لحظا زِدتنا حُسنــاً وطيبا .
مرضت ألحــاظُ عينيـ ـك فأمرضتَ القلوبا .
ما نُريد الشمسَ والبــد ر اذا كنت قريبــا ؟

* * *

اجعَلي في الكرى لعيني نصيبــاً ، كي تَنالَ المــكروهَ والمحبوبــا .
أشركي بين دمعِ عيني ونومي ، واجعــلي لي من الرُقــاد نصيبــاً .
كُنت أهوى البيضَ الحسانَ ، فقد اصبــح حُبي عن غيرها محجوبــا .
قرّبتها المُنى ، وباعدَها النــأ يُ ، فأضحت مني بعيداً قريبــا .
ان تكن مقلتي ، اذا غبتِ ، تستو لي عليها الدموعُ (حتى توُوبــا) .
فلكم نظرة ، تُسَرّ بهــا منـ ـك ، لها روعــةٌ تشقُ القلوبــا .

---

(١) في كتاب الزهرة (ص ٥٤) : عمت محاسنه عني .
(٢) حبيب الاول : محبوب ؛ والثانية اسم ابي تمام .

الحكمـــة :

كوّن حكمةَ أبي تمّام ثلاثةُ أمور :

أ ــ علمه وسعة اطّلاعه ،

ب ــ كَثْرة تجوالــه ،

جـ ــ الثقافة الراهنة .

فأما علمه وسعة اطلاعه فقد مكّناه من ان يجيل فكره في تراث الأولين وآراء الشعراء فيستخرج أحسنها ، او يصقل بعضها او يشتق منها نواحيَ جديدة . من أجل ذلك اتهمه الآمدي بسرقات كثيرة [1] . والحق ان ابا تمام حاول ان يزيد هذه المعاني التي أخذها إما بالغوص على اوجهها ، او بكسوتها من الصنعة حلة مجيدة ، وقد احسن في كثير منها : وبعض حكم أبي تمّام تجري مجرى الأمثال . ولعلّ الأبيات التي تضرب أمثالاً من شعر أبي تمّام لا تقل في عددها عن الأبيات التي تضرب أمثالاً من حكم المتنبي [2] ، مع العلم بأن أبيات المتنبي الحكيمة أشهر في الآفاق وأسير على الألسنة . ومع أن أبا تمام لم يعش سوى ثلاث وأربعين سنة قمرية (١٨٨ ــ ٢٣١ هـ) ، فانه بلغ من النضج مبلغاً عظيماً مما جعل حكمه تقع موقع الصواب وترزق شيئاً من السيرورة على الألسن. فمن حكمه الجياد المشهورة :

واذا تأمّــلتَ البــلاد رأيتهــا ... تُثْري كما تثري الرجال وتُعدم .

ــ فلم يجتمع شرق وغرب لقاصد، ... ولا المجد ــ في كف امريء ــ والدراهمُ .

ــ لا شيء ضائرُ عاشقٍ ؛ فاذا نأى ... عنه الحبيب فــكل شيء ضائــره .

ــ اني تأملت النوى فوجدتهــا ... سيفاً على صبر الهوى مســلولا .

ــ ما ابيضّ وجه المرء في طلب الغنى ... حتى يسودّ وجهــه في البيــدِ .

ــ ومما كانت الحكمــاء قالت ... لسان المرء مــن خدم الــفؤاد .

---

(١) الموازنة ص ٢٣ ــ ٥٤ ، راجع ص ٤٧ .

(٢) راجع اعيان الشيعة ١٩ : ٢١٣ . وقد جرد محسن الامين عدداً كبيراً من حكم ابي تمام وامثاله (اعيان الشيعة ١٩ : ٢١٤ــ٢٣٠) .

ـ وقد تألَفُ العين الدجى وهو قيدها ، ويرجى شفاء السمِ والسمّ قاتل .
ـ لا تنكري عَطَل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي .
ـ وزعمت ان الرزق يطلب اهله لكن بحيلة مُتعَب مكدود .
ـ اذا عُنيت بشأو قلت إنيَ قد ادركته ادركتني حرفة الأدب .
ـ ما آب من آب لم يظفر بحاجته . ولم يغب طالب بالنجح لم يخب .

ولا ريب أبداً في أن هذا النوع اعلى انواع حكمه ، وأي حكمة تبلغ في اصابة المرمى وسهولة التعبير إلى قوله :

نقّلْ فؤادك حيث شئت من الهوى ؛ ما الحب الا للحبيب الأول !
كم منزل في الأرض يألفه الفتى ، وحنينه ابداً لأول منزل .

فهذه تستحق ان تسير على وجه الدهر ، اذا استعملنا تعبير ابن رشيق . واما حكمه المستمدة من الثقافة الراهنة فكثيرة الصنعة كثيرة التكلف بعيدة عن اسس « المثل السائر » . لا يفهمها الا النحاة ، أو الفقهاء ، او العلماء او الفلاسفة . ومن أجل ذلك ايضاً كان يُتهم بقول ما لا يُفهم كقوله في الخمر مضمناً اشارة نحوية :

خرقاءُ يلعب بالعقول حبابها كتلاعب الأفعال بالاسماء ؛

وقوله في العطاء ، وفيه إشارة الى آي من القرآن الكريم [1] :

الود للقربى ، ولكن عُرفه للأبعد الأوطان دون الاقرب .

وعندي ان هذه لا تدعى حكمة ولكنها مجاراة لزمن شهد الثقافات المختلفة من عربية اسلامية او فارسية ويونانية وهندية فأراد ان يقيد معرفته لها بأبيات شعره ؛ فكان يضربها أمثالاً ، ولكنه لم يصب دائماً .

غير ان من أحسن اقواله في الحكم واختراعه في المعنى قولَه الذي اكتسبه من اختباره الخاص لا من الثقافات الشائعة ، والذي ساقه في ألفاظ فصيحة

(١) الشورى (٤٣) ؛ ٢٣ ؛ البقرة (٢ : ٨٣ ، ١٧٧ ، النساء (٤) ٣٦ : وغير هذه .

وتراكيب سهلة جداً ، بالاضافة الى أسلوبه العام ، فأكسبه بذلك سيرورة على الألسن :

ـ واذا اراد الله نشرَ فضيلةٍ طُوِيَتْ ، اتاح لها لسانَ حَسود .
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يُعرف طيبُ عَرف العود[1].
ـ وطول مُقام المرء في الحي مُخلق لديباجتيه ، فاغترب تتجدّد[2].
فاني رأيت الشمس زيدت محبة الى الناس ، انْ ليست عليهم بسرمد.
ـ لا تنكري عطل الكريم من الغنى ،
فالسيل حرب للمكان العالي .
وتنظّري خبَب الركاب ينُصّها محيي القريض الى مميت المال[3].
ـ ليس الغبي بسيد في قومه ، لكنّ سيد قومه المتغابي[4].
ـ سكن الكيد فيه ، إنّ من أعـ ظم إرب ألاّ تُسمى اريبا[5].
ـ واذا رأيت من الهلال نموّه أيقنتَ أن سيصيرُ بدراً كاملاً.
ـ ينال الفتى من عيشه وهو جاهل ، ويُكدي[6] الفتى في دهره وهو عالمُ.
ولو كانتِ الأرزاق تأتي على الحجى هلكْنَ ، اذن ، من جهلهن البهائم .
ـ أولى البرّية حقاً أن تؤاسيه وقتَ السرور الذي واساك في الحَزَن.

---

(١) العود خشب ذكي الرائحة (له رائحة طيبة شديدة) .
(٢) راجع شرح البيتين في المختارات .
(٣) لا تستغربي أن يكون الكريم فقيراً ، فان السيل يجرد رؤوس الجبال من التراب ويجمع ذلك التراب في الاودية (شبه الرجل الكريم بالجبل العالي بين قومه وبين الناس، ثم شبه السائلين وطالبي الحاجات بالسيل لكثرتهم وتتابعهم) . ولكن انتظري الغنى لي ولك حينما تخب (تركض) بي الركاب (الابل) ينصها : يجهدها في السير والسفر . محيي القريض : باعث الشعر (أقدر الشعراء، يقصد الشاعر نفسه) . مميت المال: باذل المال بكثرة (أكرم الكرماء).
(٤) المتغابي : المتظاهر بالغباء وهو شديد الذكاء .
(٥) الارب (بكسر الهمزة وسكون الراء): الدهاء .
(٦) يكدى : يفتقر .

ان الكرام اذا ما أيْسروا ذكروا من كان يألفهم في الموطن الخشِنِ [1].

وبدأ الجرجاني مقدمته في كتاب « الوساطة » بالكلام على التنافس والتحاسد والتحامل فلم ينكرها ، بل عدها من أسباب ما يكشف عن الفضل ويلفت النظر اليه. ثم ذكر قول ابي تمام — من غير ان يذكر أبا تمام — :

وإذا اراد الله نشر فضيلة طُويت أتاح لها لسان حسودِ !

واتبع هذا البيت بقوله : « صدق ، والله ، وأحسن ! »

ثم علق على هذا كله بسبعة أسطر شرح فيها المعاني التي تدور في فلك هذا الموضوع والتي أوجزها ابو تمام كلها في بيت واحد [2] .

الزهد

كان الشاعر احياناً — أما في العصور المتأخرة فدائماً — ينظم في ابواب الشعر من جميع البحره وعلى جميع قوافيه . فاذا رأينا زهداً لأبي تمام فليس معنى ذلك انه تزهد، فهو لم يبلغ السن التي تلجىء الانسان الى أن يحاسب نفسه على اعماله السالفة ، فقد مات في أوائل كهولته او في اواسطها على اكبر تقدير . ولم نعلم عارضاً اتفق لابي تمام يدفعه الى الزهد كما كان شأن ابي نواس . وليس لابي تمام في هذا الباب جيد ولا جديد .

وأما الأبيات الستة والأربعون التي اثبتها الخياط [3] فهي ركيكة جداً لا يعقل ان تصدر عن مثل ابي تمام كقوله (ديوان خ ٤٨٣) :

وأخلصْ لدين الله صدراً ونية ، فان الذي تخفيه يوماً سيظهر .
فلا بد يوماً ان تصير لحفرة بأثنائها تطوى الى يوم تنشر .

---

(١) الموطن الخشن : أيام الضيق والفقر .
(٢) الوساطة ١ .
(٣) ديوان خ ٤٨٢ — ٤٨٤ .

ومن كلام أبي تمام على كهولته [1] وانتشار الشيب في رأسه [2] مما دعا الغواني الى النفرة من بعد طول الانس [3] :

جرت في قلوب الغانيات لشَيْبَتي قُشَعْرِيرة من بعد لينٍ وإيناس .

نرى انه قال هـــذه الابيات القليلة في أواخر ايامه ، وان كان اسلوبها يدل على انها يجب ان تكون من أول عهده بمعاناة الشعر . على ان الذي لا شك فيـــه ان اسلوب هذه الابيات ركيك جداً بعيدة عن اسلوبه في آخر حياته الأدبية وفي مطلعهـــا .

* * *

هذا مجمل ما يمكن ان يقال في شاعر ملأ عصراً ، وترك بعده دوياً ؛ شاعرٍ مثّل الاسلام والقومية أجمل تمثيل ، ووقف ديوانَه على جلو عظمتهما الحقّ في شعر متين .

حُقّ لشعر ابي تمام ان يُحبَّ فهو شعر مملـــوء بالمعاني ، مزدحم بالصور الجميلة ، مرصوف رصفاً متقناً يدل على براعة لم يظفر بها كل شاعر ؛ بل لمّ يظفر بها احد سوى حبيب بن اوس . انك لا تجد قصائد ابي تمام مُزجاة ترفض ابياتاً جوفاء عن معان تافهة ؛ ولا اصواتاً مختلفة عن افكار غير مؤتلفة .

قد لا يطيب لك ان تحمل ديوان ابي تمام في نُزَهك ، او ان تقرأ منه في سمَرك ؛ ولكن اذا اعتزلت ضوضاء العالم ، وترفعت عن سفاسف السوقة ، ومحاقر الجهال ثم اردت ديوان شعر تُسرّح طرْفك في ابياته وفكرك في ارجائه فليس لك الا بضعة دواوين ، احدها — وقد يكون اعظمها شأناً في ذلك — ديوان ابي تمام .

---

(١) ديوان خ ٣٨٤ ، البيت ١٥ .
(٢) ديوان خ ٤٨٣ البيت ٥، ٧، ١٤ .
(٣) ديوان خ ٤٨٣ .

قد يأنف بعض الناس من مجالسة السوقة والشُطّار والعيّارين كي يميز نفسه منهم امام الناس ولكنه يشركهم في كل ما يميلون اليه من لهو وحديث وقصص . فهو من أجل ذلك على الحقيقة منهم ، تربطه بهم آصرة الذوق . وتلفه بنبعتهم عُلاقة النشأة الأولى . ومن الناس من لا يستسيغ شعر ابي تمام واضرابه احتجاجاً بصعوبته وتعقيده ؛ ولو نسب ذلك الى تنافر الفطرة ومعاصاة الفكرة لكان قوله أقرب الى الصواب ، وأجدر بالاعتبار .

obeikandl.com